

المبكي لتفجر تحركا فلسطينيا ما قبل سياسي او دون سياسي Pré - Politique (كما قال ، بحق ، فانشتوك) ضد اليهود . وكانت مناسبة اقتنصتها الحكومة الانكليزية ، فعينت « لجنة شو » لاستقصاء الاسباب البعيدة والقريبة للتوتر الذي ساد فلسطين . وقد انتهت اللجنة الى اقرار عدد من التوصيات ، ما لبثت ان اصدرتها الحكومة الانكليزية في كتاب أبيض جديد في العام ١٩٣٠ ، اعتبره اليبشوف محاييا للعرب ، وبخاصة في ما يتعلق بالقيود التي وضعها على الهجرة اليهودية الى فلسطين .

هذا التحول البريطاني لم يلبث ان اثار احتجاجات صاخبة وضغوطا قوية ، سواء في فلسطين ام في انكلترا ، لدرجة ان حاييم وايزمن ، الحليف التاريخي لبريطانيا ، قدم استقالته من رئاسة المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية . اثر ذلك ، في ١٣ شباط ١٩٣١ ، أرسل « رمزي مكدونالد » ، رئيس الوزراء البريطاني ، رسالة الى وايزمن تلغي عمليا الكتاب الابيض المذكور ، بل ذهبت الى ابعد من ذلك وقدمت للوكالة اليهودية تنازلات تتعلق بالهجرة ، ووفرت تسهيلات جديدة لعملية فصل الجماعتين اقتصاديا عن بعضهما . لذا سمي العرب رسالة مكدونالد هذه بـ « الرسالة السوداء » .

بيد ان مجيء النازية الى الحكم في المانيا في العام ١٩٣٣ انقذ المشروع الصهيوني في اقامة الدولة اليهودية . فبعد توقف الهجرة الى فلسطين ، اخذ المشروع الصهيوني يغدو يوتوبيا فقدت صلتها بالواقع ، اذا لم تبلغ ، في العام ١٩٣١ ، نسبة اليبشوف الى مجموع سكان فلسطين سوى ١٧.٧٪ فقط (١٧٥٠٠٠ ييشوف ، ١٠٣٦٠٠٠ عرب) . وهكذا اخذ المشروع الصهيوني يذبل وينحدر . غير ان الاضطهاد النازي لليهود لم يلبث ان اطلق موجات هجرة متلاحقة لا سابق لها الى فلسطين . وما ان حل العام ١٩٣٩ حتى بلغ عدد اليهود ٤٢٩٦٠٥ من مجموع سكان فلسطين البالغ ١٥٠٠٠٠٠ نسمة ، اي حوالي ٢٨٪ . هنا فقط اصبح مشروع الدولة اليهودية ، على جزء من فلسطين على الاقل ، مشروعا واقعيا ، حيث حلت ، كما سنرى ، مسألة ميزان القوى المحلي ، الفلسطيني - اليهودي .

في هذه الحقبة ايضا ، تابعت السياسة الكولونيالية الانكليزية سيرها التناقضي ، المتخبط ، المتذبذب ، بفعل جماعة من الضغوط المتعارضة التسي تؤثر في - او تتنازع عملية صنع القرار الكولونيالي الانكليزي . ولعبت جملة عوامل لصالح اعادة نظر بريطانيا ، بدت في ذلك الحين جدية ، في موقفها من النزاع القائم في فلسطين . النضال الفلسطيني - العربي المسلح وغير المسلح في فترة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ وتوجهه مباشرة ضد الاستعمار الانكليزي ، حاجة بريطانيا الى استعادة ثقة العرب في وقت بدأ واضحا ان العالم يقترب من حرب عالمية ثانية ، الاختلافات داخل النخبة السياسية الانكليزية حول السياسة